

# سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية وهي ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿كَهَيَّعَ ١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكُمْ زَكِرْتًا ٢﴾.

﴿كَهَيَّعَ﴾<sup>(١)</sup> قد سلف أن الحروف المقطعة أسماء لسور، أو هي تشير إلى بعض أسماء الله الحسنى.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي هذا المتلو، ذكرُ رحمة ربك ﴿عَبْدُكُمْ﴾ أي لعبده زكريا نقصه عليك، ومعنى ذكر الرحمة: بلوغها وإصابتها ﴿زَكِرْتًا﴾ بدل منه أي هذا العبد هو زكريا.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ظرف (لرحمة ربك) أي حين نادى ربه نداءً خفياً في ضراعة وتوسل، وقد راعى عليه السلام حسن الأدب في إخفاء دعائه، فإنه أدخل في الإخلاص، وأبعد عن الرياء، وأقرب إلى

(١) الحروف الهجائية المقطعة، للتنبيه على إعجاز القرآن الكريم، كما هو رأي المحققين، وانظر أول سورة البقرة.

الخلاص عن لائمة الناس، على طلب الولد في أوان الكبر قالوا: كانت  
سِنُّه حينئذ مائة وعشرين عاماً، وامرأته ثمان وتسعون سنة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ  
بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء، أصله ياربِّي فحذف حرف النداء  
والمضاف إليه اختصاراً ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ الوهن: الضعف، وإسناده إلى  
العظم لما أنه عماد البدن وأشد أجزائه صلابة، فإذا وُهن كان ما وراءه  
أوهن ﴿وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شَبَّه عليه السلام الشيب بشواظ النار،  
وانتشاره في الشعر باشتعالها، ثم أخرج مخرج الاستعارة أي عمَّ الشيب  
رأسي وانتشر انتشار النار في الهشيم، وأسند الاشتعال إلى الرأس، الذي  
هو مكان الشيب مبالغة ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ﴾ أي بدعائي إياك  
﴿شَقِيًّا﴾ أي كنتُ مستجاب الدعوة، ولم أكن خائباً في وقت من الأوقات،  
بل كلما دعوتك استجبت لي يقال: سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها، وشقي  
إذا خاب، وهذا توسل منه عليه السلام، بما سلف منه تعالى من  
الاستجابة.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي  
مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي من يلي أمره بعد موته عليه السلام، يعني  
بني عمه، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ﴿مِنْ وَرَأْيِ﴾ أي من بعد  
موتي ﴿وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ أي عقيماً لا تلد من حين شبابها ﴿فَهَبْ لِي  
مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي أعطني من محض فضلك، لا بالأسباب العادية ﴿وَلِيًّا﴾  
من صليبي يلي أمرك من بعدي.

﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ٦ .

﴿يَرْثِي﴾ من حيث العلم، والدين، والنبوة، فإن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون المال كما قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»<sup>(١)</sup> ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضياً عندك، قولاً وعملاً، فأجاب الله دعاءه .

فقال: ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ٧ .

﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ هذا جواب الله لندائه الخفي، ووعد بإجابة دعائه عليه السلام، حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم والمصالح، فإن الأنبياء عليهم السلام، وإن كانوا مستجابي الدعوة، لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ وفي تعيين اسمه، وتخصيصه به، مزيد تشريف، فإن التسمية بالأسامي البديعة، الممتازة عن سائر أسماء الناس، تنويه بالمسمى، قالوا لم يكن له عليه السلام مثل، في أنه لم يعص الله، ولم يهمل بمعصية قط، وأنه ولد من شيخ فان، وعجوز عاقر، وأنه كان حصوراً، وسُمي يحيى لأنه حيي به دين الله .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِيَ غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ٨ .

(١) أخرجه البخاري بنحوه وانظر جامع الأصول ٩/ ٦٤٠ .

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ من عتا يعتو أسنً وكبر، فهو عات أي بلغت في الكبر والشيخوخة نهاية العمر، فكيف يأتيني مولود؟.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾

﴿قَالَ﴾ أي الله تعالى، أو الملك المبلغ ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف مقحمة، أي الأمر كذلك، تصديق له ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ جملة مقررة للوعد، دالة على إنجازها، كأن قيل: قال الله تعالى: مثل ذلك القول البديع، ومثل ذلك الوعد، هو عليّ خاصة هين، وإن كان في العادة مستحيلاً. جاء بلفظ الالتفات، جرياً على سنن الكبرياء، لتربية المهابة، كقول الخليفة: «أمير المؤمنين يرسم لك» مكان «أنا أرسم» ثم التفت من ضمير الغائب إلى ياء العظمة إيذاناً بأن مدار كونه هيناً عليه سبحانه، هو القدرة الذاتية، لا ربوبيته تعالى له خاصة ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي أوجدتك من قبل يحيى، والمراد به ابتداء خلق البشر، إذ هو الواقع إثر العدم المحض، وإنما لم ينسب إلى آدم عليه السلام بأن يُقال: وقد خلقت أباك آدم من قبل، ولم يك شيئاً، لتأكيد الاحتجاج، وتوضيح مناجاة القياس، حيث نبّه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه من العدم، وكان حال زكريا عليه السلام، أولى بأن يكون معيار الحال ما يشد به نسب الخلق المذكور إليه.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي اجعل لي علامة تدل على حمل امرأتي، وقوله «سَوِيًّا» حال من ضمير

المتكلم، أي حال كونك سوي الأعضاء واللسان، ما بك شائبة بكم ولا خرس، ولم يك بك مرض.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١).

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي من المصلى، أو من الغرفة، وكانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب، فيدخلوه ويصلّوا معه، إذ خرج عليهم متغيراً لونه، فأنكروه وقالوا: مالك؟ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي أوما إليهم لقوله تعالى في آية أخرى ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾ أي صلّوا أو نزهوا ربكم ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ والمراد بهما صلاة الفجر، والعصر، أو نزهوا ربكم طرفي النهار وقولوا: سبحان الله.

﴿يَنبَحِثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢).

﴿يَنبَحِثُ﴾ أي وهبنا له يحيى، وقلنا له يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجِدٍّ وحزم ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يعني الحكمة، والفقهاء في الدين، روي أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما للعب خلقتنا.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣).

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي آتيانه من جنابنا رحمة في قلبه، وشفقة على أبويه ﴿وَزَكَاةً﴾ أي طهارة من الذنوب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً ومتجنباً عن المعاصي، وكان من تقواه أنه عليه السلام لم يعمل خطيئة، ولم يهمل بها قط، فإن قلت: كيف يصح حصول الفطنة والنبوة حال الصبا؟ قلت: لأن أصل النبوة على خرق العادة.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ﴿١٤﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي باراً بهما محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي لم يكن متكبراً عاقاً لهما أو عاصياً لربه.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿١٥﴾.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ من الله تعالى ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان مما ينال من بني آدم ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ من هول القيامة، وعذاب النار، يقال: أوحشُ المواطن ثلاثة: يوم يولد لأنه يرى نفسه خارجاً من مكانه، ويوم يموت لأنه يرى قوماً ما شاهدهم قط، ويوم يبعث لأنه يرى مشهداً عظيماً، فأكرم الله تعالى يحيى فخصّه بالسلامة في هذه المواطن الثلاثة.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١٦﴾.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خوطب به النبي ﷺ، وأمر بذكر قصة مريم، بعد قصة زكريا عليه السلام، لما بينهما من كمال الاشتباه، أي اذكر للناس نبأها، فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ أي اعتزلت وتنحّت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ من قومها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي شرقي بيت المقدس لتتفرغ هنالك للعبادة، ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿١٧﴾.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ وكان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، وإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي في

ذلك المكان في مغتسلها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أي جبريل عليه السلام، والإضافة للتشريف، وإنما سمي روحاً لأنه روحاني، أو لأن الدين يحيى بوحيه - ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أي سويّ الخلق، كامل البنية، في صورة آدمي شاب، وضيء الوجه. وإنما تمثل لها بذلك لتأنس بكلامه، وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته تعالى، إذ لو بدا لها على الصورة الملكية، لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته ومحادثته.

﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ أي أستجير بالرحمن منك، وهذا شاهد عدل، بأنه لم يحضر ببالها شائبة ميل إليه، رغم تمثيله على ذلك الحسن الفائق لابتلائها، ولقد ظهر منها من الورع، والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية، للمبالغة في العيادة به، واستجلاب آثار رحمته الخاصة، التي هي العصمة مما دهمها ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ جواب الشرط محذوف، أي إن كنت تتقي الله فلا تتعرض لي!! وهذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني، كقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَّاءِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ يريد عليه السلام أنني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر، وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا﴾ أي لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ﴿زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب، مترقياً على الخير والصلاح، ولما علم جبريل عليه السلام

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٨.

خوفها، قال إنما أنا رسول ربك، وأظهر لها معجزة، عرفت به أنه جبريل عليه السلام، فزال خوفها.

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾.

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ كما وصفته ﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾؟ أي والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل، والمسُّ كناية عن النكاح، ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أي ولم أكن فاجرة زانية تبغي الرجال؟.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنَ وَلِنَجْعَلَ لَكُم آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ جبريل عليه السلام تقريراً لمقالتها، وتحقيقاً لها ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي الأمر كما قلت ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ الذي أرسلني إليك ﴿ هُوَ ﴾ أي هبة الغلام، من غير أن يمَسَّكِ بشرٌ أصلاً ﴿ عَلَىٰ ﴾ خاصة ﴿ هَٰئِنَ ﴾ وإن كان مستحيلاً عادة، لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط ﴿ وَلِنَجْعَلَ لَكُم آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أي نفعل ذلك لنجعل آية لهم، وبرهاناً يستدلون به على كمال قدرتنا، والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ عظيمة ﴿ مِّنَّا ﴾ عليهم يهتدون بهدأيته، ويسترشدون بإرشاده ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي محكماً، قد تعلّق به قضاؤنا الأزلي، وقُدِّرَ وسُطِّرَ في اللوح المحفوظ، لا بد من جريانه عليك البتة، فلما اطمأنت إلى قوله دنا منها، فنفخ جيب درعها فوصلت النفخة إلى رحمها.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾.

﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ في الحال وكانت مدة حملها سبعة أشهر، وقيل تسعة أشهر وكان النافخ جبريل عليه السلام، لأن الظاهر من قوله: ﴿ لِأَهْبِ

لَكَ ﴿ أَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ ﴿ أَيِ فَاعْتَزَلَتْ بِهِ وَهُوَ فِي بَطْنِهَا ﴾ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿ أَيِ بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا وَرَاءِ الْجَبَلِ .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾ .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ أَيِ فَالْجَأَهَا، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَنْقُولٌ مِنْ «جَاءَ» كَأَتَى فِي أُعْطِيَ، وَالْمَخَاضُ: وَجَعُ الْوِلَادَةِ، مَحَضَتِ الْمَرْأَةُ أَيِ أَخَذَهَا الطَّلُقُ ﴿ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أَصْلُهَا، وَكَانَتْ نَخْلَةٌ يَابِسَةٌ، وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً، وَلَعَلَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَهَا ذَلِكَ، لِيَرِيهَا مِنْ آيَاتِهِ مَا يَسْكُنُ رَوْعَتَهَا، وَيُطْعِمُهَا الرُّطْبَ الَّذِي هُوَ طَعَامُ النَّفْسَاءِ ﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ أَيِ الْوَقْتُ الَّذِي لَقِيتُ فِيهِ مَا لَقِيتُ مِنَ الْكَرْبِ، وَإِنَّمَا قَالَتْهُ مَعَ أَنَّهَا تَعْلَمُ مَا جَرَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ، أَوْ حَذَرًا مِنْ وَقُوعِ النَّاسِ فِي الْمَعْصِيَةِ بِمَا سَيَتَكَلَّمُونَ فِيهَا<sup>(١)</sup> ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ أَيِ شَيْئًا تَافَهُا شَأْنُهُ أَنْ يُنْسَى ﴿ مَنَسِيًّا ﴾ أَيِ مَتْرُوكًا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَحَدٌ .

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ .

﴿ فَنَادَاهَا ﴾ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أَيِ مِنْ مَكَانٍ أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِهَا، وَقِيلَ مِنْ تَحْتِ النَّخْلَةِ ﴿ أَلَا تَحْزَنِي ﴾ أَيِ نَادَاهَا الْمَلِكُ أَنْ لَا تَحْزَنِي لِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَا تَهْتَمِي بِمَقَالَةِ النَّاسِ ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ ﴾ أَيِ بِمَكَانٍ أَسْفَلَ مِنْكَ ﴿ سَرِيًّا ﴾ أَيِ نَهْرًا صَغِيرًا، ضَرَبَ جَبْرِيلُ بَرَجْلَهُ الْأَرْضَ، فَظَهَرَتْ عَيْنُ مَاءٍ عَذْبَةٍ، فَجَرَى جَدُولًا دَافِقًا بِالمَاءِ، وَهَذِهِ آيَةُ بَاهِرَةٌ عَلَى كَرَامَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَالَ لَهَا:

(١) عَرَفَتْ أَنَّ النَّاسَ لَا يَصِدَّقُونَهَا فِي خَبَرِهَا، وَبَعْدَمَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ عَابِدَةً نَاسِكَةً، تَصْبَحُ عَاهِرَةً زَانِيَةً، وَلِهَذَا تَمَنَّتِ الْمَوْتَ، وَقَالَتْ مَا قَالَتْ .

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ .

﴿وَهَزَى﴾ أي أميله، هزته هزاً حركته فاهتز ﴿إِلَيْكَ﴾ إلى جهتك ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الباء زائدة للتأكيد أي هزى جذع النخلة ﴿تُسْقِطُ﴾ أي تسقط النخلة ﴿عَلَيْكَ﴾ إسقاطاً متواتراً ﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾ أي طرياً شهيماً، قيل: ما للنفساء خير من الرطب، روي أنها هزتها، فجعل الله لها رأساً، وورقاً ورطباً، لتسليتها بذلك، لما فيها من المعجزات الدالة على براءة ساحتها، ومن قَدَر أن يثمر النخلة اليابسة، قدر أن يحبلها من غير فحل.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ .

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ من الرطب واشربي من الماء السلسيل ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي طيبي نفساً، وانفضي عنك ما أحزنك، فإنه تعالى نزه ساحتك عما اختلج في صدور الناس، بما أظهر لهم من الخوارق، من جري النهر، واخضرار النخلة اليابسة، وإثمارها قبل وقتها، فإنهم إذا رأوا ذلك لم يستبعدوا ولادة ولد بلا فحل، ﴿وَقَرِّي﴾ من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه، أو من القرِّ فإن العين باردة في السرور، وحارة في الحزن، ولذا يقال: قرة العين للمحبيب، وسخنة العين للمكروه ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي آدمياً كائناً ما كان ﴿فَقُولِي﴾ له إن استنطقك ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي صياماً وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب، وقيل: كان صيامهم فيه الصمت، وقد نهى الرسول ﷺ عن صوم الصمت فصار منسوخاً ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة، وقيل: أمرها أن تقول هذا القول نطقاً ثم تمسك، وإنما أمرت بذلك لكرهاة مجادلة السفهاء، والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام، فإنه نص قاطع في قطع الطعن، وفيه دلالة على أن تفويض الكلام إلى الأفضل أولى.

﴿ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ﴿٢٧﴾ .

﴿ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا ﴾ أي جاءتهم بولدها راجعة إليهم، عندما طهرت من نفاسها ﴿ تَحْمِلُهُ ﴾ أي حاملة له ﴿ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ ﴾ أي فعلت ﴿ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أي عظيماً، منكرًا، عجيبيًا، وعبر عنه بالشيء، تحقيقاً للاستغراب، قيل: لما دخلت على أهلها ومعها الصبي، بكوا وحزنوا، لأنهم كانوا أهل بيت صالحين وقالوا ما قالوا.

﴿ يَتَأَخَتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ﴿٢٨﴾ .

﴿ يَتَأَخَتْ هَرُونَ ﴾ تجديد للتوبيخ، عنوا به هارون النبي عليه السلام، لأنها كانت من نسله، كما يقال للتمييز: يا أخا تميم، وقيل هو رجل صالح كان في زمانهم شبهوها به في الصلاح، عن المغيرة بن شعبة قال: سألت عنه رسول الله ﷺ فقال: «إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(١)</sup> ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ ﴾ عمران ﴿ أَمْرًا سَوْءَ ﴾ أي زانيًا ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ ﴾ حنة ﴿ بَغِيًّا ﴾ أي زانية، تقرير وتنبية على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين، فحشٌ ومنكر عظيم!.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ﴿٢٩﴾ .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه، ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا ﴿ قَالُوا ﴾ منكرين لجوابها ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ

(١) أخرجه مسلم في الآداب رقم ٢١٣٥ ونصّه عن المغيرة قال: «لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرأون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ - أي بألف سنة - فلما قدمت على رسول الله ﷺ سأله عن ذلك؟ فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم»..

صَيِّيًا؟ - ولم نعهد صبيّاً في المهد تكلم! ولما قالوا هذا، اتكأ وأقبل عليهم، وتكلم بكلام فصيح صريح.

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (٣٠).

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ أنطقه الله عزّ وجلّ بذلك، تحقيقاً للحق، وردّاً على من يزعم ربوبيته<sup>(١)</sup> ﴿ ءَاتَنِي الْكِتَابَ ﴾ أي الإنجيل ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾.

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣١).

﴿ وَجَعَلَنِي ﴾ مع ذلك ﴿ مُبَارَكًا ﴾ نفاعاً، معلماً للخير، والتعبير بلفظ الماضي باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم، فإن ما حكم الله به أزلاً لا بدّ أن يقع، كقوله سبحانه: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ أو بجعل ما شارف الوقوع واقعاً، وروي عن الحسن أنه كان في المهد نبياً، وكلامه من معجزاته، والأظهر أن معناه: سيجعلني نبياً، ويؤتيني الكتاب وقيل: كلّمهم بذلك ثم لم يتكلم، حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ أي حيثما كنت ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ ﴾ أي أمرني بها أمراً مؤكداً ﴿ وَالزَّكَاةِ ﴾ زكاة المال إن ملكته أو بتطهير النفس ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ في الدنيا.

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢).

(١) أوّل كلمة نطق بها السيد المسيح، وهو طفل رضيع ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ وكان ذلك معجزة له تدل على براءة أمه، وطهارتها من مقارفة الفاحشة، ولا نجد في الأناجيل هذه المعجزة، وهي قوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ لأنها تبطل مزاعم النصارى في ألوهية المسيح، ولهذا حذفوها من الأناجيل، مع أنها من سواطع المعجزات والبراهين!!.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ أي جعلني باراً بها، والتنكير للتفخيم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي عنيداً متعظماً متكبراً على عباد الله، شقياً في حياتي.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٣٣﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي وسلام الله عليّ في يوم ولادتي، وفي يوم مماتي، ويوم خروجي حياً من قبري، وفيه تعريض باللعن على من اتهم مريم بالزنا، ونظيره قول موسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى من فُصِّلَت نعوته الجليلة ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه به من دعوى الربوبية ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي يشكّون ويتنازعون، فيقول اليهود: ساحر وابن زنى، والنصارى يقولون: هو ابن الله، وكلا الفريقين مفتري كاذب.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٣٥﴾.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ أي ما صحَّ وما استقام له تعالى ﴿أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ تكذيب للنصارى ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له تعالى عما بهتوه ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بلا تأخير، فمن هذا شأنه، كيف يتوهم أن يكون له ولد؟ وقد نص عيسى على عبودية نفسه، لإزالة التهمة عن الله تعالى.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾.

﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا هو الدين القويم الذي لا يضل سالكه.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الحزب: الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها نبتة تعالى على سوء صنيعهم، بجعلهم ما يوجب الاتفاق، منشأ للاختلاف، فإن ما قال عيسى عليه السلام من كونه عبداً لله تعالى، اختلف النصارى بالإفراط والتفريط، فقالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت اليعقوبية: هو الله هبط إلى الأرض، وزعم بعضهم أنه ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم المختلفون في أمر عيسى، عبر عنهم بالموصول، إيداناً بكفرهم جميعاً ﴿مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي من شهود يوم، عظيم الهول، والحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، والنص وعيد وتهديد لكل كافر، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فإن الكفر كله ملة واحدة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ تعجيب من شدة سمعهم وبصرهم، أي ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك اليوم الرهيب!! ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ للحساب والجزاء، والمراد أن أسماعهم وأبصارهم جديرة بأن يتعجب منهما، بعد أن كانوا في الدنيا صماً وعمياً ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لا تدرك غايته، حيث أغفلوا الاستماع والنظر.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أي يوم يتحسر الناس قاطبة، أمّا المسيء فعلى

إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي فرغ من الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد، إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحدٌ إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ، ليكون عليه حسرة»<sup>(١)</sup> ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما يفعل بهم في الآخرة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون به.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي نتفرد بالملك والبقاء، عند تعميم الهلاك والفناء ولا يبقى لأحد غيرنا عليها ملك، ونتوفى الأرض توفى الوارث لإرثه ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي يردون إلينا للجزاء لا إلى غيرنا، وهذا تخويف عظيم، ووعد شديد.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ﴾ عطف على أُنذِرهم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي في السورة أو في القرآن ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي اُتْلُ عليهم قصته كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فإنهم ينتمون إليه، فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من الشرك والقبائح ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صِدِّيقًا﴾ ملازماً للصدق في كل ما يأتي وما يذر ﴿نَبِيًّا﴾ خبر آخر أي كان جامعاً بين الصديقية والنبوة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الرقاق ٤١٨/١١.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ أي لا يسمع ثناءك وجؤارك إليه، ولا يبصر خضوعك بين يديه، أو لا يسمع ولا يبصر من المسموعات والمبصرات شيئاً ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ أي لا يقدر على أن يغنيك في جلب نفع، ودفع ضرر، وقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه بحسن الأدب، حيث طلب منه علّة عبادته، ولم يصرح بضلاله، ونّبّه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل، لغرض صحيح، والشيء لو كان حياً، مميزاً، سميعاً، بصيراً، مقتدرّاً على النفع والضرر، ولكّنه كان محتاجاً، لاستنكف العقل السليم عن عبادته، وإن كان أشرف الخلائق، كالملائكة، والنبين، لما يراه مثله في الحاجة إلى من سواه، فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يُبصر؟.

ثم دعاه إلى أن يتّبعه، ليهديه إلى الحق القويم، والصراط المستقيم ولكنه كان جاهلاً عنيداً، لم يأبئه للنصيحة والإرشاد.

﴿يَتَابَتِ إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿٤٢﴾.

﴿يَتَابَتِ إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ لم يسمّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير، يكون أعرف بالطريق، فاستماله برفق حيث قال: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب، ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع، مستلزم للضرر، فإنه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث إنه الأمر، ولهذا قال بعده:

﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ﴿٤٤﴾.

﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ فإن عبادتك

للأصنام عبادة له، إذ هو الذي يسؤلها لك، ويغريك عليها، ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص، وكل من هو عاصٍ حقيقٌ بأن تُستردَّ منه النعم.

﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾.

﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه، وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده، من العذاب الفظيع ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي قريباً له في اللعن المخلد والطرْد والحرمان من دخول الجنان.

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَرَهُيمُ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِّي ٤٦﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَرَهُيمُ﴾؟ أي أ معرضٌ ومنصرف أنت عن عبادة إلهتي يا إبراهيم؟ قابل استعطافه في الإرشاد، بغلظة العناد، فناداه وأخره، ولم يقابل قوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بـ «بُنَيَّ» وصدَّره بالهمزة للإنكار، على ضرب من التعجب، كأنها مما لا يرغب عنها عاقل، ثم هدَّده فقال ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ﴾ عن مقالك فيها، وعن النهي عن عبادتها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة ﴿وَأَهْجُرَنِّي﴾ أي اتركني ﴿مَلِيًّا﴾ أي زماناً طويلاً، أو بالذهاب عني، وإنما حكى الله تعالى ذلك للرسول ﷺ ليخفف عليه ما كان يصل إليه، من أذى المشركين، فيعلم أن الجهال منذ كانوا على هذه السيرة.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ متاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة، أي لا أصيبك بمكروه، ولا أشافهك بما يؤذيكَ، ولكن ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾

أي أستدعيه أن يغفر لك، بأن يوفقك للتوبة، ويهديك إلى الإيمان، كما يلوح به قوله تعالى: ﴿وَاعْفُزْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾<sup>(١)</sup> والاستغفار للكافر، قبل أن يتبين أنه مات على الكفر، مما لا ريب في جوازه، وإنما المحذور استدعاء المغفرة، مع بقاءه على الكفر، وبعد تبين موته على الكفر، ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فِي حَفِيَّا﴾ أي بليغاً في البر والإلطف، والحفاوة: الرأفة والرحمة والكرم، والمراد أنه يستجيب لي فيما أدعوه وأطلبه منه.

﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ﴿٤٨﴾.

﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ﴾ المراد بالاعتزال المهاجرة، أي أتباعك عنك وعن قومك ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالمهاجرة بديني، من أرض بابل إلى أرض الشام، حيث لم تؤثر نصائحي فيكم ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أعبدته وحده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي خائباً، ضائع السعي، وفيه تعريض لشقائهم، وفي تصوير الكلام بعسى التواضع، والتنبيه على أن الإجابة تفضل، وأن العبرة بالخاتمة.

﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿٤٩﴾.

﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالمهاجرة ابتغاء مرضاة الله، وترك الديار والأوطان ﴿وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة، ليستأنس بهما، لكن لا عقيب المهاجرة، فإن المشهور الموهوب حينئذ «إسماعيل» عليه السلام لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ إثر دعائه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما

(١) سورة الشعراء، آية: ٨٦.

شجرتا الأنبياء ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي كل واحد منهم، جعلنا نبياً، لا بعضهم دون بعض.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمِنَا﴾ هي النبوة والمال، والأولاد، وقيل: هو الكتاب، والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يفخر بهم الناس، ويشنون عليهم، استجابة لدعوته بقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ والمراد باللسان ما يوجد به الكلام، وإضافته إلى الصدق، ووصفه بالعلو، للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنى به عليهم، وأن محامدهم لا تخفى، على تباعد الأعصار، وتبدل الدول والأمصار.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ قدم ذكره على ذكر إسماعيل، لثلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أي مؤمناً موحداً اصطفاه الله لنفسه، لأنه أخلص عبادته عن الشرك، والرياء وأسلم وجهه لله ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ نبياً أرسله الله تعالى إلى الخلق، فأنبأهم عنه.

﴿وَنَدَيْنَاهُ مِّن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

﴿وَنَدَيْنَاهُ مِّن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي نادينه من ناحية اليمين من جهة جبل الطور، والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام، لأن الجبل لا يمين له، ومعنى ندائه أنه جاءه الكلام من تلك الجهة ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ أي وشرفناه بالمناجاة ﴿نَجِيًّا﴾ أي مناجياً، مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته، واصطفاه لمصاحبته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ من أجل رحمتنا ورأفتنا له ﴿أَخَاهُ﴾ لمعاوضة أخيه ومؤازرته، إجابة لدعوته حيث قال: ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿هَارُونَ نَبِيًّا﴾ وكان أكبر من موسى عليه السلام.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ وإيراده بهذه الصفة لكمال شهرته به، وناهيك وعد الصبر على الذبح بقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ فيه دليل على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ وهو أن يقبل الرجل على نفسه، ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ وقيل أهله أمته، فإن الأنبياء آباء الأمم ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لاستقامة أقواله وأفعاله، وهذا نهاية في المدح.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سبط شيث عليهما السلام، وجدُّ أب نوح عليه السلام، أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ أي ملازماً للصدق.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ بشرف النبوة وعلو الرتبة بالذكر الجميل، عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة الكريمة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول أي هم أنبياء الله الكرام ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار أي هم من نسل آدم ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي ومن ذرية من حملناه معه، وهم من عدا إدريس عليه السلام لأنه كان قبل نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم الباقون ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام والد يوسف الصديق ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي من جملة من هديناهم إلى الحق، واجتبيناهم للنبوة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ البكي جمع بك، كالسجود جمع ساجد، والمراد به سجود التلاوة، وقال بعضهم: الخضوع والخشوع، والظاهر يقتضي سجوداً مخصوصاً عند التلاوة، قالوا: ينبغي أن يدعوا الساجد في سجده، بما يليق بآياتها مع الخشوع والخضوع، ومنها الدعاء المأثور «سجد وجهي للذي خلقه وصوّره، وشقّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» عنه ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا».

(١) طرف من حديث الإسراء الذي رواه الشيخان.

﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩).

﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ يقال لعقب الخير خَلْفٌ بفتح اللام، ولعقب الشر ﴿ خَلْفٌ ﴾ بالسكون، أي فَعَقِبَهُمْ وجاء بعدهم عقب سوء ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي تركوها وفَرَطُوا فيها، أو أَخْرَوْهَا عن وقتها ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ ﴾ كشرب الخمر، والزنا، والانهماك في فنون المعاصي ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ شراً، فإن كل شر عند العرب غي، وكل خير رشاد، كما قال الشاعر:  
فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدِمُ عَلَى الْغِيِّ لَأِيْمًا  
وعن ابن عباس وابن مسعود قالا: هو واد في جهنم، أعد للصرين على الزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، وشاهد الزور.

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٦٠).

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ ﴾ يعني إلا من رجع عن كفره، وآمن بشرائطه ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ بموجب الوعد ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ أي لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً، أي إن كفرهم السابق، لا يضرهم ولا ينقص أجورهم.

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ (٦١).

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي جنات إقامة دائمة في جوار عرش الرحمن، وعدهم الله بها فأمنوا بها، قبل أن يروها تصديقاً لوعده الله، والتعرض لعنوان الرحمة، للإيذان بأن وعدة وإنجازها، لكمال سعة رحمته تعالى، والباء في قوله: ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ متعلقة بمضمر أي وعدة

إياهم ملتبسة بالغيب أي غائبة عنهم لا يرونها، وإنما آمنوا بها بمجرد الإخبار ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ أي مواعده كائناً ما كان، فيدخل فيه الجنات، ولما كانت هي مثابة يرجع إليها قال: ﴿مَأْنِيًا﴾ أي يأتيه من وعد له لا محالة.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي لا يسمعون في الجنة شيئاً من فضول الكلام، ولا ألفاظاً قبيحة نابية، إنما يسمعون فيها التحية والسلام، وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها، وفيه تنبيه على أن اللغو، مما ينبغي أن يجتنب عنه ما أمكن ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع أي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم، وتسليم بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على عادة المتنعمين في هذه الدار، وقيل المراد دوام رزقهم ورفاهية عيشهم، وإلا فليس في الجنة بكرة وعشية، لأنهم في النور أبداً.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣).

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ أي نورثها ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي نبقئها عليهم ونمتعهم بها كما يبقى مال المورث على الوارث، والورثة أقوى لفظ يستعمل في التملك، من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا إبطال ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ عن الإشراك، وقيل: يورث المتقون من الجنة، المساكن التي كانت لأهل النار، لو آمنوا وأطاعوا، زيادة في حسرة الكفار.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَكِينُ آيِدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (١٤).

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ هذا حكاية لقول جبريل عليه السلام، حين استبطأ عن رسول الله ﷺ، لما سئل عن أصحاب الكهف، أخرج البخاري

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «يا جبريلُ ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فتزلت هذه الآية»<sup>(١)</sup> فكان هذا جواب جبريل عليه السلام، والتنزلُ: النزولُ على مهل، لأنه مطاوع للتنزيل، وقد يُطلق على مطلق النزول، والمعنى وما ننزل وقتاً بعد وقت، إلا بأمر الله تعالى، على ما تقتضيه حكمته، لأنني عبدٌ مأمور ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأزمنة ولا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل إلا بأمره ومشئته ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي تاركاً لك يا محمد يعني أن عدم النزول، لم يكن إلا لعدم الأمر به، لحكمة فيه، لا لتركه لك كما زعمت الكفرة، وفي إعادة اسم الرب مضافاً إلى ضميره ﷺ، فيه تشريف عظيم للنبي ﷺ.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي هو تعالى ربُّ العوالم كلها، رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، وما بين السماء والأرض والنسيانُ عليه تعالى مستحيل، فإن من بيده ملكوت السموات والأرض كيف يتصور أن يحوم حول ساحته سبحانه، الغفلة، والنسيان؟ ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية، فاعبده، ولا تحزن لإبطاء الوحي، وهزاء الكفرة، فإنه تعالى يراقبك، ويلطف بك ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟ أي هل تعلم له شبيهاً ومثيلاً، والمراد إنكار الشريك، أي ليس له جلّ وعلا من يشابهه ويمثله في الألوهية والخلق، وما يسميه المشركون آلهة فهي آلهة مزيفة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٤٢٨/٨.

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَدَامًا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ﴿٦٦﴾ .

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَدَامًا مِتُّ ﴾ المراد به الجنس ، وإسناد القول إلى الكل لوجوده فيما بينهم ، وإن لم يقله الجميع ، كما يقال : بنو فلان قتلوا ، وإنما القاتل واحد منهم ، وقيل : المراد به الشقي «أبيُّ بن خَلَف»<sup>(١)</sup> فإنه أخذ عظماً بالية ، وقال : يزعم محمد أنا نُبعث بعد ما نموت ونصير إلى هذه الحال؟ يقول ذلك بطريق الإنكار والاستبعاد ﴿ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ أي هل سأبعث من الأرض؟ قاله تكذيباً للبعث .

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ﴿٦٧﴾ .

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ ﴾ من الذكر الذي يُراد به التذكر ، والتفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين ، أي أيقول ذاك ولا يتذكر ولا يتفكر ﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي خلقناه من العدم من قبل هذه الحالة التي هو عليها الآن ﴿ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾؟ بل كان عدماً صرفاً حيث خلقناه وهو في تلك الحالة ، المنافية للخلق؟ فلأن نبعته بجميع المواد المتفرقة أولى وأظهر .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ ﴿٦٨﴾ .

﴿ فَوَرَبِّكَ ﴾ قَسَمٌ ، باسمه عَزَّتْ أَسْمَاؤُهُ ، مضافاً إلى ضميره ﷻ لتحقيق الأمر ، والإشعار بعليته ، وتفخيم شأنه ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي لنجمعن

(١) كان الشقي «أبي بن خلف» من طواغيت قريش ، ومن صناديد الكفر ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ؟ وقد اشتهر بالسخرية والتهكم بأمر البعث والنشور ، حتى مات كافراً في غزوة بدر .

المجرمين المنكرين للبعث والنشور مع الشياطين، بعدما أخرجناهم من الأرض أحياء، إثباتاً للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾ عطف على الضمير المنصوب أي نجمهم مع الشياطين الذين أغووههم، كل مع شيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه، فيزدادوا غبطة وسروراً، وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم، فيزدادوا غيظاً وحسرة والعجبي جمع جاثٍ يقال: جثا إذا قعد على ركبتيه، أي لنحضرهم حول جهنم، جاثمين على ركبهم، لما يدهمهم من هول المطلع، وأهل الموقف جاثون، لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ﴾<sup>(١)</sup> ولعلمهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم، إهانة لهم، أو لعجزهم عن القيام، لما عراهم من الشدة.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ من كل أمة شايعة ديناً، واتبعت مذهباً ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا﴾ أي من كان أعصى وأعتى منهم، فنطرحهم فيها، الأعصى فالأعصى، والأشقى فالأشقى.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي هم أولى بصليها أي دخولها، والصليي كالعتي صيغة وإعلالاً، ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتياً رؤساء الشيع، فإن عذابهم مضاعف، لضلالهم وإضلالهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ١٣.

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١).

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ التفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام، أي ما منكم أيها الناس ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي واصلها وحاضر دونها، يمرُّ بها المؤمنون وهي خامدة، وتنهار بغيرهم وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١) فالمراد به الإبعاد عن عذابها، وقيل: ورودها الجواز على الصراط، فإنه ممدود ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ ﴾ أي ورودها إياها ﴿ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ أمراً محتوماً أوجبه الله تعالى على ذاته، وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴾ (٧٢).

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ من الكفر والمعاصي، فيساقون إلى الجنة ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ فِيهَا جِثَّتًا ﴾ أي قعوداً على الركب في جهنم حجارة بهم.

﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَآخَسَنُ نَدِيًّا ﴾ (٧٣).

﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا ﴾ أي على المشركين آيات القرآن المبين ﴿ بَيِّنَاتٍ ﴾ مرتلات الألفاظ واضحات المعاني والإعجاز ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وضع الموصول موضع الضمير، للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا، كافرين بما يتلى عليهم، أي قال الذين مردوا منهم على الكفر والعناد، وهم النضر بن الحارث وأتباعه ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴾؟ أي المؤمنين، والكافرين، كأنهم قالوا: أينا؟ ﴿ خَيْرٌ ﴾ نحن أو أنتم ﴿ مَقَامًا ﴾ موضع إقامة

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠١.

ومنزلاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً ومجتمعاً؟ كان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنونها، ويتطيبون ويلبسون الملابس الفاخرة، ويجلسون في أنديتهم، ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين، وما هذه المقايضة العقيمة، إلا لكونهم جهلة، لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، يريدون بذلك أن خيريتهم إنما كانت لكرامتهم عند الله. فردَّ الله عليهم بقوله تقدست أسماؤه:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ (٧٤)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ أي وكثير من الأمم الطاغية المكذبين لآيات الله أهلكتناهم بكفرهم، والقرن: جيل من الناس ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ أي متاعاً ﴿وَرِيًّا﴾ أي وأجمل صورة ومنظراً من هؤلاء، فكما أهلكتنا السابقين نهلك اللاحقين.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعْفُ جُنْدًا﴾ (٧٥)

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ ولَمَّا بَيَّنَّ عاقبة أمر الأمم المهلكة، أمر رسول الله ﷺ بأن يجيب هؤلاء، المفتخرين بما لهم من الحظوظ، ببيان مآل أمر الفريقين، أي من كان مستقراً في الضلالة، مغموراً بالغفلة ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي يمهله بطول العمر، وإعطاء المال، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية للمد، أي حتى يروا ما يحلُّ بهم من عقاب الله ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ في الدنيا كالقتل، والأسر، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ القيامة، وما ينالهم فيها من الخزي والنكال، وهذا تفصيل للموعود ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ من الفريقين، بأن يشاهدوا على عكس ما كانوا يقدرونه، فيعلمون أنهم شر مكاناً ﴿وَأَضَعْفُ جُنْدًا﴾ أي فئة وأنصاراً، لا أحسن ندياً كما كانوا يدَّعونهم ويزعمون أن لهم أعواناً وأنصاراً، ويفتخرون بذلك في الأندية.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ (٧٦).

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ بيان لحال المهتدين إثر بيان حال الضالين، وأن قصور حظ المؤمن منها، ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير له ﴿ وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ ﴾ أي الطاعات والأعمال الصالحة، التي تبقى فوائدها ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ أي خير مما يتمتع به الكفرة، من النعم الفانية، التي يفتخرون بها، لا سيما أنَّ مآلها النعيم المقيم، ومآل هذه الحسرة، والعذاب الأليم ﴿ وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ أي مرجعاً وعاقبة، وفي التفضيل مع أن ما للكفرة، ليس له خيرية، تهكم بهم، أو على طريقة قولهم «الصيفُ أقرُّ من الشتاء».

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (٧٧).

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ روى الشيخان عن خباب بن الارت قال: كنت رجلاً قيناً - أي حدّاداً - في الجاهلية، وكان لي على «العاص بن وائل السهمي» دينٌ فأتيته أقتاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يُميّتك الله، ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: بلى، قال: دعني حتى أموت ثم أبعث، فسأوتني مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والمراد بالآيات هنا آيات البعث، والهمزة للتعجب من حاله، أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة، التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها ﴿ وَقَالَ ﴾ مستهزئاً بها، مصدراً لكلامه باليمين الفاجرة ﴿ لَأُوتِيَنَّ ﴾ في الآخرة ﴿ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ أي انظر إليه فتعجب من حاله؟! .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٤٢٩/٨ ومسلم رقم ٢٧٩٥.

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾ .

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ رد لكلمته الشنيعة، أي أو قد بلغ من عظمة الشأن، أن ارتقى إلى علم الغيب، الذي استأثر به العليم الخبير، حتى ادّعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولداً، وأقسم عليه؟ ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾؟ بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين.

﴿كَأَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَعْمُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا﴾ ﴿٧٩﴾ .

﴿كَأَلَّا﴾ ردع له عن التفوه بتلك العظيمة، وتنبية على خطئه ﴿سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ﴾ أي سنظهر له افتراءه، ونتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو، فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول، لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿وَنَعْمُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا﴾ مكان ما يدعيه لنفسه، من الإمداد بالمال والولد، أي نطوّل له من العذاب ما يستحقه، أو نزيد عذابه، لافتراءه على الله تعالى، واستهزائه بآياته، وتأكيده بالمصدر، دلالة على فرط الغضب.

﴿وَنَرِئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿٨٠﴾ .

﴿وَنَرِئُهُ﴾ بموته ﴿مَا يَقُولُ﴾ أي مسمى ما يقول، وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد، أي نزرع عنه ما آتيناہ ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ بلا مال ولا ولد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادًى﴾ .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿٨١﴾ .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أي اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله تعالى ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ليتعزّزوا بهم، بأن يكونوا لهم وسيلة إليه عز وجل وشفعاء.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٧).

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل، وإنكار لوقوع ما علّقوا به أطماعهم الفارغة ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي ستجحد الآلهة بعبادتهم، بأن ينطقها الله، وتقول ما عبدتمونا؛ ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي تكون الآلهة أعداء لهم يوم القيامة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ (٨٧).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تعجيب لرسول الله ﷺ مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة، وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم، ومعنى إرسال الشياطين عليهم تسليطهم وتمكينهم من إضلالهم ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي، والأز، والهز والاستفزاز، معناها شدة الإزعاج.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا﴾ (٨٤).

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يهلكوا وتطهر الأرض من فسادهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا﴾ أي لا تعجل بهلاكهم، فإنه لم يبق لهم إلا أيام قلائل تعدّها عليهم عذّا، قيل: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ!؟.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي نجتمعهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ وافدين عليه، كما يفد الضيوف على الملوك، منتظرين لإنعامهم.

﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ (٨٦).

﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما تساق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي عطاشاً، فإن من ورد الماء لا يَرِدُّهُ إِلَّا لِعَطَشٍ أَوْ كَالِدَابَةِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَاءَ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ الضمير فيه للعباد، أي لا يملك فيه أحد أن يشفع لأحد ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم، إِلَّا من أمر بذلك، وأذن الله له بالشفاعة، فيكون ترغيباً للناس في تحصيل الإيمان والتقوى.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٨﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ أي افترى اليهود والنصارى ومن زعم من العرب أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ رُدُّ لِمَقَالَتِهِمُ الْبَاطِلَةَ، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات، المنبئ عن كمال السخط، والإدُّ بالكسر: الأمر العظيم المنكر، أي فعلتم أمراً منكراً شديداً، لا يُقَادِرُ قَدْرَهُ.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِزُّ الْجِبَالِ هَذَا﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ أي تقرب السموات بعظمتها ﴿يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ أي يتشققن مرة بعد أخرى، من عظم ذلك الأمر ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ أي تنشق الأرض ﴿وَخِزُّ الْجِبَالِ﴾ أي تسقط وتهدم ﴿هَذَا﴾ مصدر مؤكد لمحذوف، أي تهذه هذاً وتتساقط أشد ما يكون تساقطاً، والمعنى: إن هول هذه الكلمة وعظمتها، بحيث لو تصور بصورة محسوسة، لم تتحملها هذه

الأجرام العظام، وتفتت من شدتها، بحيث لولا حلمه تعالى لخربت العالم غضباً على من تفوّه بها.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي لأن دعوا له سبحانه ولداً، ونسبوا له ما لا يليق من الذرية والبنين.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩٢).

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ والحال أنه لا يليق به تعالى اتخاذ الولد، لاستحالته في نفسه، لأن الولد يقتضي المجانسة، ويكون عن حاجة وهو سبحانه المنزّه عن المثل والنظير، والغني عن المعين والنصير، فكيف يتسنى أن يجانس المخلوق الخالق حتى يتوهم أن يتخذ ولداً؟.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣).

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما منهم أحد من الملائكة والثقلين ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له، يأوي إليه بالعبودية والانقياد، ونسبة الجميع إليه عز وجل نسبة العبد إلى المولى، فكيف يكون بعضه ولداً؟.

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥).

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ أي حصرهم وأحاط بهم، بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيلة علمه، وقبضة قدرته ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي عدّ أشخاصهم، وأنفاسهم، وأفعالهم، فإن كل شيء عنده بمقدار.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ أي كل واحد منهم، سيأتي ربه تعالى منفرداً من الأتباع والأنصار، فإذا كان هذا شأنه تعالى وشأنهم، فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئاً منهم ولداً، لأنه لا يجانسه شيء من ذلك ولا يناسبه..

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ  
وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لَمَّا فَضَّلَ قَبَائِحَ أحوال الكفرة،  
عَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ محاسن المؤمنين، أَي صَدَّقُوا اللَّهَ وَفَعَلُوا الْخَيْرَاتِ  
﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أَي سَيُحَدِّثُ لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةً، مِنْ غَيْرِ  
تَعَرُّضٍ لِأَسْبَابِهَا، سِوَى مَا لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقِيلَ يُحِبُّهُمْ  
اللَّهُ وَيُحِبُّهُمْ إِلَى عِبَادِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ  
أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَبْدًا، دَعَا جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ، فَيُنَادِي جَبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ فَلَانًا فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup> وَالسَّيِّئِينَ  
فِي «سَيَجْعَلُ» لِلْإِسْلَامِ، وَكَثْرَ أَنْصَارِهِ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا  
لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أَي الْقُرْآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بِأَن أُنْزِلَنَاهُ عَلَى لِسَانِكَ  
وَالْفَاءُ لِتَعْلِيلِ الْأَمْرِ كَأَنَّهُ قِيلَ: بَلَّغْ هَذَا الْمَنْزِلَ، وَبَشِّرْ بِهِ، فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ  
بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ أَي سَائِرَ أَهْلِ التَّقْوَى  
﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أَي وَتَخَوْفَ بِهِ قَوْمًا مُعَانِدِينَ، لَجَاجًا وَعِنَادًا، وَاللُّدُّ  
جَمْعُ الْأَلَدِّ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ وَالْجِدَالُ.

(١) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّوْحِيدِ ٤٦١/١٣ وَمُسْلِمٌ رَقْمَ ٢٦٣٧ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ،  
وَالْتِّرْمِذِيُّ رَقْمَ ٣١٦٠ فِي التَّفْسِيرِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِهِ «فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾».

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (٩٨).

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ وعدُّ لرسول الله ﷺ، في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك، أي أهلكنا قبل هؤلاء الكفار قوماً كثيرين معاندين ﴿ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ﴾ هل تشعر بأحد منهم وتراه؟ ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ أي صوتاً خفياً، وأصل الركن الخفاء، والركاز: المال المدفون المخفي أي بادوا جميعاً فلم يبق منهم عين ولا أثر.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة مريم»

\*\*\*